نخبة سيدات الأعمال فى مصر
محددات وآليات التشكل

هند فؤاد السيد*

حاولت الورقة إلقاء الضوء على محددات تشكيل النخبة النسوية فى العصر الحديث، والعوامل الأولية التى مهدت لتشكيل تلك النخبة ونخبة سيدات الأعمال كجزء من النخبة النسوية، هذا بالإضافة إلى استعراض الآليات الفاعلة فى تشكيل النخبة النسوية، وأهم الإنجازات التى ترتبت على هذا التشكيل سواء للمجتمع بشكل عام أو لنخبة سيدات الأعمال بشكل خاص.

مقدمة

إن دراسة نخبة سيدات الأعمال المعاصرة لا يمكن أن تتم بدون إمعان النظر في تاريخ وظروف تشكل النخبة النسوية فى العصور السابقة، على اعتبار أن نخبة سيدات الأعمال المعاصرة ما هى إلا نتاج وامتداد لهذه النخبة، وعلى اعتبار أن نخبة سيدات الأعمال المعاصرة هى ثمرة الجهود المضنية فى المعارك التى خاضتها النخبة النسوية الأم بجسارة فى العصور السابقة.

فمنذ بزوغ فجر التاريخ والمرأة المصرية تقوم بدورها فى مساعدة الرجل المصرى، واحتلت المرأة المصرية مكانة متميزة لم تصل إليها مثيلاتها فى معظم المجتمعات القديمة، إذ وصلت المرأة إلى حكم مصر فى العصر الفرعونى، كما تمتعت المرأة فى العصر الإسلامى بحقوق اقتصادية، واجتماعية، وقانونية مساوية

* مدرس مساعد، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الحادى والخمسون، العدد الثالث، سبتمبر ٢٠١٤.

للرجل، واحترمت الحضارة المصرية القديمة وضع المرأة وتعاملت معها باحترام شديد، وهناك العديد من الدراسات والبحوث التى تناولت وضع المرأة فى تلك العصور.

فبعد أن شهدت مكانة المرأة تقدمًا واحترامًا فى العصور القديمة، جاءت عصور أخرى- خاصة العصر المملوكى والعصر العثمانى- أهدرت هذا التقدم للمرأة، وأهدرت حقوقها وحجبتها عن المشاركة فى الحياة العامة بكل أشكالها وصورها، استمر هذا الوضع عصورًا كثيرة، إلى أن حاربت المرأة بكل قوتها هذا الوضع وحاولت إثبات وجودها على ساحة الحياة العامة فى العصر الحديث، الذى يمثل بداية لتاريخ تشكل النخبة النسوية ومن ثم نخبة سيدات الأعمال فى مصر. لا شك أن النخبة النسوية فى العصر الحديث كانت بمثابة الرافد الأساسى الذى نهلت منه نخبة سيدات الأعمال المعاصرة أفكارها وأيديولوجياتها وقضاياها، بل وتتلمذت على أيدى رائداته، أو على الأقل نعمت بالإنجازات التى استطعن تحقيقها.

وهنا قد يثار تساؤل من أين نبدأ فى العصر الحديث ؟ وتشير الدراسات إلى أن هذا العصر الحديث والنهضة العربية الحديثة يبدآن مع ولاية **محمد على** باشا عام ١٨٠٥، ولكن نقطة الانطلاق التى آثرت الباحثة البداية منها هى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، منذ بداية انتشار التعليم الرسمى للبنات فى مصر؛ إذ نجح **رفاعة الطهطاوى** وتلميذه **على مبارك** فى إقناع **إسماعيل** باشا حاكم مصر فى ذلك الوقت بإنشاء المدرسة الأولى لتعليم البنات، وبالفعل تم إنشاء مدرسة **السيوفية** للبنات عام ١٨٧٣، والتى تغير اسمها بعد ذلك وأصبح مدرسة **السنية** عام ١٨٨٩. ومع عملية التحديث التى بدأها محمد على منذ توليه حكم مصر، اهتم بتعليم البنات إذ أنشأ "**مدرسة المولدات**" سنة ١٨٣٢، ليقدم للمرأة التعليم فى المجالات التى يحتاج إليها المجتمع، وقد تخرجت من هذه المدرسة الصحفية الأولى على امتداد الوطن العربى وهى "**جليلة تمرهان**" التى كتبت مقالات فى مجلة "**يعسوب الطب**". وتضافر مع إنشاء مدرسة السيوفية دور بعض الكتاتيب فى تعليم الإناث، وتعليم نساء الطبقات الميسورة على أيدى معلمين فى البيوت، هذا بالإضافة إلى دور الإرساليات

الأجنبية والمدارس التبشيرية؛ حيث ساعد هذا الدور على إنشاء طبقة من نساء متعلمات تعليمًا غربيًا فى الأساس[١].

هذا بالإضافة إلى ظهور بعض الكتابات النسائية التى تعد نقطة الانطلاق لاقتحام المرأة المجال العام وخروجها من شرنقة المجال الخاص "المنحصر في المنزل بين الزوج والأبناء"، إذ صدرت أول صحيفة نسائية تحت عنوان "**الفتاة**" للكاتبة **هند نوفل** عام ١٨٩٢، ثم **الفردوس، ومرآة الحسناء** عام ١٨٩٦، **وأنيس الجليس** عام ١٨٩٨[٢]. وكانت تلك الصحف والمجلات النسائية التي أصدرتها النساء بمثابة المنبر الذى عبرت من خلاله المرأة المصرية عن آرائها وقضاياها ومشكلاتها.

من هذا المنطلق تحاول الدراسة إلقاء الضوء على محددات تشكل النخبة النسوية فى العصر الحديث مرتكزة على بدايات التعليم الرسمى للإناث، والكشف عن آليات تشكيل وفاعلية نخبة سيدات الأعمال المعاصرة.

أولا: **محددات تشكل النخبة النسوية فى العصر الحديث**

يهتم هذا الجزء بعرض تاريخى للظروف التى تشكلت من خلالها النخبة النسوية فى مصر منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، إذ تنوعت تلك الظروف الأمر الذى يدفعنا إلى إلقاء الضوء على البدايات الأولى للتشكل وخروج المرأة إلى المجال العام، ومن ثم ارتباط ذلك بتشكل الطبقة الوسطى فى تلك الفترة، مع الإشارة إلى السياق الاجتماعى والثقافى السائد فى ذلك الوقت، بجانب دور العادات والتقاليد والدين فى تشكل تلك النخبة النسوية. بالإضافة إلى دورالتحولات والتغيرات الاجتماعية "**الثورات**" وتأثيراتها المختلفة فى ظهور الحركة النسوية. إذ أدى تطور الحركة النسوية فى مصر إلى إفراز نخب نسوية خاصة بهذه الحركة، ثم تنامت هذه النخبة وتشعبت داخل وخارج الحركة وكونت نخب متعددة منها نخبة سيدات الأعمال، ومن ثم يمكن

القول إن "**تاريخ تشكل الحركة النسوية هو نفسه تاريخ تشكل وولادة النخبة النسوية فى مصر**".

١- الظروف التاريخية لتشكيل النخبة النسوية

لقد بدأت الأصوات الأولى فى تعليم المرأة من داخل الأزهر فى مصر، وبواسطة شيخ استعاد عقلانية الحضارة الإسلامية فى تكوينه الفكرى، وهو الشيخ **رفاعة رافع الطهطاوى** الذى كان أول من كتب فى مصر عن سفور المرأة وأهمية تعليمها، وكان ذلك بعد أن عاد من دراسته فى فرنسا، ورأى تقدم المرأة فيها، وحلم بأن تحتل المرأة فى بلده المكانة نفسها من التقدم الذى تستحقه بحكم تاريخها المجيد، ولذلك ظل رفاعة يوجه جهوده إلى أن نجح هو وتلميذه **على مبارك** فى إقناع **إسماعيل** باشا حاكم مصر فى ذلك الوقت، بإنشاء المدرسة الأولى لتعليم البنات، وبالفعل افتتحت هذه المدرسة سنة ١٨٧٣، وكانت البداية الرسمية لانتشار تعليم البنات على امتداد مصر كلها. وقد ألف رفاعة كتابه الرائد "**المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين**" بمناسبة افتتاح هذه المدرسة، فكان بذلك رائدًا فى تعليم المرأة والإعداد التربوى لأجيالها الناشئة.

وإذا كان إنشاء المدرسة الرسمية الأولى لتعليم البنات **(المدرسة السنية)** نتيجة مباشرة لجهود رفاعة الطهطاوى وحلم الخديو إسماعيل بأن يجعل مصر شبيهة بأوروبا فى التقدم. فإن إنشاء المدرسة فى الوقت نفسه كان نتيجة غير مباشرة لعمليات التحديث المستمرة فى مصر منذ عهد **محمد على**، فمحمد على هو أول حاكم مصرى تقبل فكرة تعليم البنات فى المجالات التى يحتاج إليها المجتمع، فهو الذى أنشأ مدرسة"**المولدات**" سنة ١٨٣٢، وسمح للجاليات والإرساليات الأجنبية بإنشاء مدارس خاصة. ثم انتشرت بعد ذلك الكتاتيب لتعليم الإناث[٣].

٢- نشأة الطبقة الوسطى وعلاقتها بتشكل النخبة النسوية فى مصر

مما لا شك فيه أن تشكل النخب مرتبط بتشكل الطبقة الوسطى فى المجتمع المصرى، فهذه الطبقة تعد وبلا شك الرحم الذى تتشكل من خلاله النخب المختلفة فى مصر، لذا تجدر الإشارة هنا إلى رصد تاريخ تشكل الطبقة الوسطى فى مصر لمعرفة علاقتها بتشكل النخب ومن بين هذه النخب "النخبة النسوية".

تشير معظم الدراسات إلى أن تشكل الطبقة الوسطى فى مصر لم يكن عمديًا، كما هو الحال بالنسبة للطبقة العليا، فقد كانت نشأتها ذات طبيعة تلقائية. وقد أخذ تشكل الطبقة الوسطى فى مصر عدة مراحل، كما أخذت دورة الطبقة الوسطى قرابة ١٢٢ عاما للتشكل بدءاً بحركة التحديث عام ١٨٣٠ التى قام بها **محمد على** حتى عام ١٩٥٢. فقد استند تشكل بناء هذه الطبقة إلى ثلاثة عناصر، الأول: تشكل من البرجوازية العليا التى تم تدريبها وتعليمها حتى تخدم مصالحها بشكل عام، حيث درب بعضها أو علم محليا، بينما تأهل البعض الآخر وتعلم فى الخارج. فى حين أن العنصر الثاني تشكل من الأفراد الذين تساقطوا من أعلى (أى من الطبقة العليا) بسبب التطور الزمنى للعلاقة بين ثبات المساحة الزراعية من ناحية وزيادة السكان من ناحية مقابلة، وتشكل العنصر الثالث من هؤلاء الذين صعدوا من أسفل، عن طريق التراكم الرأسمالى الذى توفر لبعض عناصر الطبقة الدنيا. ويجمع هذه العناصر مقام واحد أنها انفصلت بحكم ظروفها عن الطبقات الأخرى، وأنها تسعى إلى أن تكون لها علاقتها بالمجتمع والنظام السياسى من ناحية، وأيضا لها قوتها الاجتماعية ونفوذها السياسى من ناحية أخرى.

تأرجحت ارتباطات الطبقة المتوسطة بين الطموح والإحباط، ففى حالة ارتفاع مستوى تحقق طموحاتها، فإننا نجدها تميل إلى الارتباط بالبرجوازية العليا، وتتزايد آمالها نحو الصعود الاجتماعى، بينما إذا زادت إحباطات هذه الطبقة فإنها تميل إلى أن تعكس مشاعر الطبقة الدنيا، مع نمو مشاعر الخوف من أن تسقط معها، حتى وإن كانت تدافع عن بعض ظروف الطبقة الدنيا، إلا أنها تميل إلى التحالف معها من

منطلق المصلحة فقط، وذلك لكى تستخدم الطبقة الدنيا فى الضغط على البرجوازية العليا أو النظام السياسى(٤).

ويشير على ليلة إلى أن تكوين الطبقة الوسطى مر بعدة مراحل، وهى: المرحلة الأولى من تشكل الطبقة الوسطى تسمى بمرحلة "التشكيل واكتمال الوعى"، إذ بدأ بالربع الأول من القرن العشرين خلال عقد الثلاثينيات ابتداء من ثورة ١٩١٩ ودستور ١٩٢٣، وحتى ظهور جماعة الإخوان المسلمين فى ١٩٢٨، وتميزت هذه المرحلة بتشكل الطبقة الوسطى من عناصر غير متجانسة، ضمت شريحة عريضة من رجال الدين وضباط الجيش، والمديرين من الريف والحضر الذين أهلتهم أوضاعهم الاقتصادية والمهنية لأن يكونوا على مقربة من حدود البرجوازية العليا، وإن لم يختلطوا بها، ومن ناحية أخرى ضمت هذه الطبقة شريحة ثانية تشكلت من أبناء البرجوازية العليا الذين تساقطوا إلى ساحة الطبقة المتوسطة، حيث كانوا ذوى أصول تركية ومملوكية بالأساس، إضافة إلى عناصر شريحة ثالثة صعدت إليها من أسفل حينما توفرت ظروف تاريخية مواتية.

أما المرحلة الثانية فقد استغرقت الربع الثانى من القرن العشرين ويمكن أن نسميها بمرحلة النضال الوطنى للطبقة الوسطى، وقد تميز هذا النضال ببعدين، حيث كان البعد الأول واقعيا تضمن النضال النشط للطبقة الوسطى ابتداء من المشاركة فى ثورة ١٩١٩، ومرورًا بالضغوط الشعبية التى شكلت خلفية لدستور ١٩٢٣، ومعاهدة ١٩٣٦، إلى جهود الارتقاء بالواقع الاجتماعى التى قادتها حركة الإخوان المسلمين وشباب محمد تارة، وقادها الماركسيون والإصلاحيون تارة ثانية، وقام بها الشباب والعمال خلال عقد الأربعينيات تارة ثالثة. وقد تمثل البعد الثانى فى امتلاء فضاء هذه الطبقة بأيديولوجيات عديدة قدمت رؤى متنوعة للتطور الاجتماعى، ابتداء من الأيديولوجيا الإسلامية، ومرورًا بالأيديولوجيا الليبرالية، وحتى الماركسية، الأمر الذى يشهد بالحيوية والفاعلية التى امتلكتها هذه الطبقة على مستوى الأيديولوجيا والممارسة الواقعية.

ولقد توجت هذه الطبقة سعيها النضالى خلال هذه الفترة بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢، بفعل صفوة ثورية اقتربت بعض عناصرها من مواقع البرجوازية العليا، على حين اقتربت عناصر مقابلة من سقف الطبقة الدنيا، بينما بقى الجسد الأساسى لهذه الصفوة منتمياً إلى الطبقة الوسطى بالأساس يحاول التعبير عن طموحاتها ويسعى لتبنى الأيديولوجيات التى تيسر إشباعًا لحاجات هذه الطبقة.

وجاءت المرحلة الثالثة فى الربع الثالث من القرن العشرين وتسمى مرحلة جنى الثمار، والتى بدأت منذ عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٠، وهى فترة حكم جمال عبد الناصر؛ حيث قدمت الصفوة الثورية توجها أيديولوجيا يقود تطور الواقع الاجتماعى، وتشبع فى إطارها حاجات الطبقة الوسطى التى حصلت على نصيب الأسد من الكعكة الاجتماعية، فقد حصلت الطبقة المتوسطة على ٧٥٪ من أراضى الإصلاح الزراعى، وشكل أبناؤها نسبة ٨٥٪ من شباب الجامعات، وذلك مع انتشار مجانية التعليم، وكلها عوامل مجتمعة شكلت قوى اجتماعية جديدة(٥).

وتعتبر مرحلة جنى الثمار المرحلة التى شهدت تبلور بنية الطبقة الوسطى ووعيها بمصالحها، فمن خلال هذا الوعى شكلت الطبقة الوسطى جماعات ضغط، وبرزت قوى سياسية جديدة، شكلت فى بدايتها نخب اجتماعية جديدة، اتحدت كل هذه النخب الاجتماعية بأطيافها المختلفة تحت مظلة الحركة الوطنية بما فيها من حركة نسوية أو نخبة نسوية، وبعد الحصول على الاستقلال الوطنى بدأت تلك النخب تشق طريقها من خلال الحركات التى تزعمتها، ومن ثم يمكن القول إن الطبقة الوسطى كانت بمثابة الأرضية الملائمة لظهور النخب "القوى" الجديدة.

وإجمالا للقول يمكننا التأكيد على أن السياق الاجتماعى الذى مهد لتشكل بنية الطبقة الوسطى فى مصر هو الرافد الأساسى الذى أدى إلى تشكل النخب الاجتماعية فى مصر، سواء كانت نخبًا سياسية أو ثقافية أو عمالية أو نسوية ...إلخ. ولكن هذا السياق الاجتماعى لم يتح الفرص المتساوية لصعود كل النخب الاجتماعية بصورة متكافئة. فهناك كثير من العقبات التى واجهت ظهور النخب

النسوية على وجه الخصوص، فلم يكن الطريق ممهدًا أمام الرجال والنساء على حد سواء.

فقد عانت المرأة المصرية فى العصر الحديث لتثبت وجودها، وقاومت لفترات طويلة ضد كل أشكال القهر والظلم والاستبداد التى تحجب المرأة ومشاركتها عن المجال العام، وسادت عصور مختلفة تجعلها حبيسة فى أدراج المجال الخاص "المنزل والزوج والأبناء".

٣- السياق الثقافى الاجتماعى وعلاقته بتشكل النخبة النسوية

نلقى الضوء فى هذا الجزء على السياق الثقافى والاجتماعى السائد فى فترة تشكل النخب الاجتماعية، والتحديات التى واجهتها النخب النسوية عند مرحلة التشكل، لأنه لا يمكننا فهم ظهور النخبة النسوية فى العصر الحديث بمعزل عن السياق الثقافى الاجتماعى السائد آنذاك.

يتبين من مراجعة تاريخ المرأة المصرية أن أكثر التغيرات تأثيراً فى إعادة تقييم وتحديد أدوارها، قد تحقق خلال الفترات التى كانت مصر تعانى فيها أزمات اجتماعية واقتصادية وسياسية، ولم تكن تلك الأحداث التاريخية فترات انتقالية فى تاريخ المجتمع المصرى فحسب، وإنما تعد أيضًا علامات فى تاريخ الحركة النسائية المصرية. لذا ساد فى المجتمع المصرى نهاية القرن التاسع عشر مجموعة من العوامل التى دعمت وأرست مفهوم "**الحريم** Hareem" كتعدد الزوجات، والاستعباد، والانعزال، فقد كانت هذه العوامل بمثابة مؤسسة ذات تأثير لا يُنكر على حياة نساء الطبقتين العليا والوسطى. وقد كان ينظر للحريم آنذاك على أنهن جاهلات، بل منعزلات، وغير قادرات على تفهم مكانة أزواجهن، وأنهن لا يصلحن للأعمال العقلية مثل الرجال. ولعل ذلك دفع **قاسم أمين** ١٨٦٣-١٩٠٨ على نشر كتابه "**تحرير المرأة**" الذى دعا فيه إلى إتاحة الفرصة لتعليم المرأة، لتخرج من عزلتها وتشارك فى مجتمعها.

وبالرغم مما واجهه قاسم أمين من معارضة، فقد سانده عدد قليل من المفكرات المصريات من النساء فى ذلك الوقت، من أشهرهن "**هدى شعراوى، نبوية موسى، ملك حفنى ناصف**" وقد اتفقن مع مبادئ قاسم أمين، ودعون إلى تعليم النساء والحد من تعدد الزوجات، وكل ذلك فى إطار التعاليم الإسلامية(٦).

شهدت الفترة من ١٩١٩-١٩٥٢ تحولات فى حركة النساء؛ إذ ساعدت المرأة بكل عزمها ونشاطها فى ثورات التحرير الوطنى، وقد تميزت مشاركتهن في المقاومة الوطنية بالنشاط الشديد ظناً منهن أنه يمكن لهن التقرب من رموز السلطة، وبالتالى الحصول على الاستقلال وإنهاء الاحتلال، وبالتالى يحصلن على حريتهن ومن ثم مساواتهن بالرجل. وفى واقع الأمر، لم يكن ينظر إلى دور المرأة آنذاك إلا كمجرد شريكة فى الكفاح من أجل الوطن، وأن هذا أمر طبيعى لا يغير من دورهن الأساسى كأمهات وربات منازل. وقد أصابت النساء خيبة أمل، بعد أن خمدت تلك الحماسة الوطنية؛ وذلك لاستبعادهن فجأة من الحياة العامة والسياسية.

وتبدو ملامح هذا السياق الثقافى الاجتماعى غير منصفة للنساء ووضعت أمامهن الكثير من العقبات، كما تم تحميل المرأة كل الآثام والشرور بجانب تحميلها مسئولية تخلف المجتمع وتأخره، بمعنى آخر كان يعزى إلى المرأة كل ما هو سيئ على المستوى الخاص والعام. ويستمد هذا السياق الاجتماعى والثقافى قوته من **التراث** بمعناه الواسع الثقافى والدينى، وسنحاول هنا تسليط الضوء على رافدى **الثقافة والدين** باعتبارهما يشكلان اللبنة الأساسية لهذا السياق.

وقد ساعد على استمرار هذا السياق الثقافى غير المنصف للمرأة فى مصر وجود **العادات والتقاليد** التى عمدت على تدنى وضعية المرأة ووقفت في سبيل تقدمها حينا من الدهر، ولهذا يرى قاسم أمين أن "من بين أسباب نكبتنا أننا نسند حياتنا على التقاليد التى لم نعد نفهمها، والتى نحافظ عليها فقط لأنها أعطيت لنا" (٧).

والواقع أن أفضل ما يصور مدى علاقة العادات والتقاليد بتدنى وضع المرأة، هو صورة المرأة فى الأمثال الشعبية، فنرى العديد من الأمثال الشعبية التى تنظر إلى

المرأة على أنها مصدر الضعف منها : المثل القائل "موت البنات سترة، زواج البنات سترة". كما شككت الأمثال فى قدرة المرأة على التربية فقالوا "عمر المرأة ما ترب عجل ويحرت"(٨).

ورغم وجود تلك العادات ومحاولات بعض الكتاب الأوائل من نقدها وتنبيه المجتمع بخطورتها؛ إلا أنها لازالت متوارثة فى المجتمع المصرى والمجتمعات العربية. لذا انتقدتها الرائدات الأوائل فترى **مى زيادة** أن "العادة أقوى الأقوياء وأظلم المستبدين، وما أكثر العادات التى تقيدنا فى جميع الأحوال فتجعلنا من المهد إلى اللحد عبيداً نتمرد عليها، ثم ننفذ أحكامها مرغمين، ويصح للكل أن يطرح نفسه هذا السؤال، أتكون هذه الحياة "حياتى" حقيقية، وأنا خاضع لعادات، واصطلاحات أسخر بها فى خلوتى، ويمججها ذوقى، وينبذها منطقى، ثم أعود فأتمش على نصوصها أمام البشر" (٩).

كما ساعد على تدنى وضع المرأة فى المجتمع المصرى **الثقافة الذكورية السائدة** التى تُعلى من شأن الرجل وتحط من شأن المرأة وتعمد إلى استبدادها بجانب العادات والتقاليد، وتؤكد ذلك **نبوية موسى** بقولها "إن الرجال سعوا إلى إضعاف المرأة طمعاً فى امتلاكها، وكان فى هذا السعى تأخرهم من حيث لا يشعرون"، كما تؤكد على مبدأ باحثة البادية بأن صلاح المرأة مرتبط بصلاح الرجل "إن الرجل والمرأة لا يصلح أحدهم إلا بصلاح الآخر" (١٠).

وحاربت **نظيرة زين الدين** استبداد الرجل لأنه السبب فى انحطاط وضعية المرأة فتقول "إن الرجال حرموا النساء أن يتعلمن ثم اتهموهن بنقص العقل والدين، وتركوهن بعضهن مع البعض الآخر، لا يرين الرجال ولا يسمعن أقوالهم فيتثقفن بأحاديثهم، ونتائج اختباراتهم فى العالم، فأنى لناقص العقل والدين أن يتكمل من ناقص مثله عقلاً ودينًا، إن كانوا فى تكمل نسائهم راغبين !"(١١).

وتدعم تلك المقولات نظرة المجتمع الذكورية التى تعلى من شأن الرجل وتحط من شأن المرأة، ولهذه الثقافة الذكورية السائدة آثار واضحة حتى على أقطاب الحركة

النسائية "**تبوية موسى، ملك حفنى ناصف، مى زيادة..**" إذ يؤكدون على أن إصلاح وضعية المرأة لن يتم إلا بإصلاح الرجل، ومن ثم فالحركة النسائية تكرس مركزية الرجل ولم تلتفت أقطاب تلك الحركة بضرورة قيام المرأة بإصلاح أوضاعها ومجابهة استبداد الرجل، وقد يكون السبب فى ذلك سيطرة صورة مركزية الرجل فى المجتمع على ذهن المرأة بسبب منظومة القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة فى مجتمعنا المصرى.

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن تبعية المرأة تتشكل وتتبلور عبر الثقافات، ويتم استيعابها عن طريق الثقافة نفسها، وللثقافة دورها فى تعديل وتشكيل اهتمامات المرأة، وكذلك تؤثر تأثيرًا مباشرًا على إدراك المرأة لأولوياتها وموقعها من الأوضاع الاجتماعية، فافتقاد المرأة إلى المساواة هو نتيجة للعوامل الثقافية والتاريخية والاجتماعية التى أثرت بالطبع على افتقاد المرأة إلى المساواة فى المنزل، والأسرة، ووضعها الطبقى، فقد يتوفر للمرأة الوعى بالقيود المفروضة عليها؛ إلا أنها قد تفشل فى تحديد الأسباب وراء هذه القيود؛ وذلك لتشابكها وتعقدها فى إطار السياق الثقافى السائد، وكذلك أساليب التربية التى تمارس فى المنزل واعتمادها على التبعية وافتقادها للمساواة، وكل هذا يؤثر بدوره على استمرار تدنى وضع المرأة فى المجتمع.

وإذا تمعنا النظر فى الرافد الثانى "**رافد الدين**" نجد أن هذا الدين يتم توظيفه كما يشير **نصر حامد أبو زيد**، ففى عصور التأخر والانحطاط يتم إخفاء "**النساء شقائق الرجال**" ويتم إعلان "**ناقصات عقل ودين**" [١٢]، وأن جسد المرأة بل كلها عورة، وأنها لابد أن تلزم البيت ولا تخرج منه إلا لأمرين للزواج أو الوفاة، ويرجع كل ذلك لتفسيرات الفقهاء لنصوص الدين التى تعكس الجمود الدينى والتخلف والمصالح السياسية.

ولهذا نجد **قاسم أمين** يهاجم جُهال الفقهاء ذلك لأنه "لو أخذ المسلمون برأى الجهال من فقهائهم، وهم أهل الرأى عندهم، لرأوا من الواجب عليهم أن يسجنوا نسائهم، وألا يسمحوا لهم بالخروج إلا لزيارة الأقارب فى العيدين، ورأوا من الأفضل

ألا تخرج من بيتها فى جميع الأحوال، وقد عدوا من مفاخرهم، ألا تخرج المرأة من خدرها إلا محمولة إلى قبرها" (١٣). ويتهم قاسم أمين هؤلاء الفقهاء بأنهم حولوا الإسلام عن أصوله الأولى فيقول "ليس فى إمكان أحد أن يفكر أن الدين الإسلامى قد تحول عن أصوله الأولى، وأن العلماء والفقهاء– إلا قليلا ممن أنار الله قلوبهم– قد لعبوا كما شاءت أهواؤهم حتى صاروا سخرية وهزوا، ولكننى أعتقد أن هذا الانحطاط الذى طرأ على الدين ليس سبباً لما عليه المسلمون الآن، وإنما هو نتيجة لأمر: هو الجهل المتفشى فى المسلمين عامة رجالاً ونساءً "(١٤).

وإذا كان **قاسم أمين** يهاجم جمود الفكر الدينى، فإنه من ناحية أخرى يطالب بضرورة الاجتهاد والتجديد فى إرساء أحكام جديدة توافق احتياجاتنا المتجددة، لأن هذا ما فعله الإسلام على مدار التاريخ، ومنه اتسعت خطة الإسلام، لأن كثرة اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم، عرضت لهم حاجات وضروريات اقتضت أحكامًا، ومشروعات جديدة قام المجتهدون واستنبطوا لهم من أصول الشريعة العامة ما يناسب الوقائع الخاصة (١٥).

واهتم أقطاب الحركة النسائية بأهمية تجديد الفكر الدينى، فنجد **نبوية موسى** تنتقد الفهم الخاطئ للقرآن، وتؤكد على أهمية الفهم المستنير له، وترى أنه ليس فى القرآن ما يحرم على المرأة تحصيل العلم أو ممارسة العمل فتقول "أخطأ العرب فى فهم القرآن نفسه فأولوه بما شاءوا، وصادف هذا التأويل هوى فى النفوس فاتبعوه على بعده عن الصواب، على أنه لم يأت فى القرآن الشريف نص بحرمان المرأة من العمل، وخمولها هذا الخمول" (١٦).

وترتبط الميول التعصبية المعادية للمرأة ارتباطًا شديدًا بإساءة تفسير التعليمات الدينية على يد كثرة من المشتغلين بالتعليم والخطابة الدينية فى المساجد. لذا يقول الفقيه والعالم **فاروق حسن** إن "التاريخ أقام مفارقة احتكر رجال دين ذوو تعليم بسيط الحقيقة الدينية طوال قرون، ومن ناحية حشر رجال الدين هؤلاء شبكة جنونية من

الخرافات والأفكار المتطرفة. ومن ناحية أخرى استخدموا هذه الشبكة كغطاء مرن للملائمة والسلطة السياسية" (١٧).

ومما سبق يتضح أثر **جمود الفكر الدينى** على تخلف المجتمع بصفة عامة، وعلى قضية المرأة بصفة خاصة، ونحن لسنا بحاجة للتأكيد على أن صحيح الدين بعيد كل البعد عن التمييز ضد المرأة وانتهاك حقوقها. ولكن هدفنا هو الكشف عن الممارسات التى يتم من خلالها توظيف الدين كآلية لقمع المرأة، وهو يعد من أكثر الآليات نجاحا وفاعلية فى ذلك. ومن ثم فقد أجمع أغلب مفكرى العصر على ضرورة نقد الجمود الدينى، وأهمية الانطلاق إلى تجديد الفكر الدينى، لأنه أحد السبل إلى نهضة المرأة المسلمة، فتقديم تفسيرات ترتبط بالمعطيات المعاصرة فى قضية المرأة بصفة خاصة يمكن أن يؤدى إلى إحداث نهضة فى طرح قضايا المرأة، ومن ثم نهضة للمجتمع ككل لأن المرأة هى نصف المجتمع والمسئولة عن تربية النصف الثانى، ولذلك فإن نهضة المرأة تعود على المجتمع.

٤- التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتأثيرها على تشكل النخبة النسوية فى المجتمع المصرى

يشير هذا الجزء إلى بعض التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى ساهمت فى تشكل النخبة النسوية داخل المجتمع المصرى، وتتمثل تلك التحولات فى الحروب والثورات المختلفة التى شهدها المجتمع المصرى خلال عصوره المتعاقبة، والتغيرات العالمية المختلفة، وما نجم عنها من تداعيات أثرت على تشكل النخبة النسوية فى المجتمع.

إذ شهد المجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر فترة ساخنة حركت الركود الذى دام لعقود تخللها فى الفترة من ١٧٩٥ إلى ١٨٠٥ أربع انتفاضات شعبية، إلى جانب صدمة الحملة الفرنسية وما حملته من عوامل واسعة التأثير. إذ خرجت مظاهرات نسائية فى رشيد تطالب بالمعاملة الحسنة من أزواجهن ومن

المجتمع مثل الفرنسيات، كما ظهر الحضور النسائى واضحًا بشكل كبير فى حركة المقاومة الشعبية ضد الحملة، ثم خرجت المظاهرات النسائية بعد ذلك للمطالبة برفع الضرائب الباهظة. وهكذا تحركت النساء المكبلات بالتقاليد الاجتماعية المحافظة، وخرجن لقضية عامة، وهن اللاتى أُخذ عليهن– كنساء– مطالبتهن بمعاملة أفضل. ويمكن تفسير ذلك بالانفراج اليسير الناشىء عن وجود المستعمر، أو الحراك الاجتماعى، والسخونة المرافقة، لمقاومته والمزاج الجماهيرى المائل للانتفاض، وأيضا بتأثير تهدد أقواتهن وبيوتهن وحياتهن. وفى هذه الحالة لم تستنكر حركتهن بل بالعكس ربما اُستحسنت، وكانت قوة أو إصرار النساء دافعاً لاستثارة نخوة الرجال وحركتهم [١٨].

ومنذ دخول الحملة الفرنسية والاختلاط بالغرب حاولت المرأة رفض بعض التقاليد السائدة ومحاكاة التقاليد الغربية للخروج من المجال الخاص إلى المجال العام مثل النساء الفرنسيات، ولهذا ظهرت كثير من الدعاوى التي تطالب بتحرر المرأة وعلى رأسها دعوة **رفاعة الطهطاوى** ثم تلاه **قاسم أمين**، واقتنعت بآرائهم كثير من أقطاب الحركة النسائية أمثال "**هدى شعراوى– ملك حفنى ناصف– درية شفيق ...**" وبدأن يدعون إلى تحرر المرأة وتعليمها واستفدن من تجربة الإصلاح والتحديث التى قدمها محمد على فى مصر.

وكان للحركة النسائية المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين نشاط داخلى واضح بدأ بالنضال ضد المستعمر الفرنسى ثم الإنجليزى، واشتعلت قمة هذا النشاط فى ثورة ١٩١٩، والتى برزت فيها **هدى شعراوى** وغيرها للمطالبة بالاستقلال وشحذ همم الرجال لتحقيق ذلك، ونتيجة لهذا النشاط تمتعت الحركة النسائية بنشاط واتصال خارجى خلال تلك الفترة، إذ سبقت نساء مصر رجالها فى تمثيل مصر فى المؤتمرات السياسية الدولية، فقد مثلت النساء مصر فى المؤتمر الدولى لنزع السلاح الذى أقيم فى إحدى عواصم أوروبا (١٨٩٩–١٩٠٠). وكانت **إلكسندرا أفرينو** متحمسة لنشر أخبار القسم النسائى للمؤتمر فى مجلتها "**أنيس الجليس**" [١٩].

وبعد دعوة الاتحاد النسائى الدولى للنساء العربيات لحضور مؤتمره عام ١٩٢٣ وتلبية وفد من مصر لهذه الدعوة توالى حضور الاتحاد النسائى المصرى للمؤتمرات النسائية الدولية المتعاقبة التى عبرت عن حركة نسوية عالمية نشطة فى ذلك الوقت. فقد حضر الاتحاد فى الفترة بين ١٩٢٣ و١٩٣٩ عشرة مؤتمرات عالمية فى "جراتسى، وباريس، وامستردام، وبرلين، ومرسيليا، واسطنبول، وبروكسل، وبودابست، وكوبنهاجن وغيرها". وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، استمر هذا الاتصال فى الأربعينيات مع الاتحاد النسائى الدولى، فحضرت وفود مصرية مؤتمرات فى حيدر آباد، ونيودلهى، وكانت وفود نسائية تحضر أيضًا مؤتمرات الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى. وبعد تأسيس الاتحاد النسائى العربى، بدأ الاتحاد النسائى المصرى يحضر مؤتمرات فى سوريا، ولبنان، وفلسطين[٢٠].

وانعكست مشاركة النساء المصريات فى المؤتمرات الدولية انعكاسًا واضحًا على الحركة النسائية بداية من شعور الناشطات بالدعم الذى يجعلهن أكثر صلابة فى معركتهن. وتذكر **درية شفيق** "وكان من نتائج هذا الاتصال المستمر بين مصر وأوروبا أن أصبحت المرأة المصرية أكثر تقديرًا لقيمتها الذاتية من الناحيتين الاجتماعية والأدبية"[٢١]. وبجانب ذلك فالاتصال الخارجى دفع الحركة النسائية إلى الأمام، كما أن اطلاعهن على أوضاع الحركة العالمية وكونهن أصبحن جزءاً منها أعطاهن القوة على التحدى، وقد يسر ذلك طرح أجندة نسوية واضحة. وتمثل هذا فى إرسال **هدى شعراوى** خطابًا إلى رئيس الوزراء تطالب فيه بمنع تعدد الزوجات وحقوق المرأة السياسية.

وبعد الجهود والكفاح المضنى الذى بذلته النساء فى مساندة الحركة الوطنية والقيادات الوطنية حتى وصلت لسّدة الحكم، انكرت كل هذه الجهود أول حكومة وطنية تتولى مقاليد الأمور فى البلاد ١٩٢٤، إذ رفضت طلب لجنة الوفد للسيدات بالسماح لهن لحضور حفل افتتاح البرلمان، وقد سبب ذلك إحباطاً للاتحاد النسائى، وقد عبرت **هدى شعراوى** عن فتور همتها فى المجال السياسى ورؤيتها لضرورة

تعديل أولويات الاتحاد والانشغال بالمطالب النسوية فتقول فى مذكراتها "إن المرأة دخلت الحياة العامة من مجال السياسة"، "على إننا قد رأينا بالرغم من مشاركتنا الرجال عدة سنوات – إهمالهم شأن المرأة فى تقرير حقها السياسى حتى فى أبسط الحقوق الأولى كقبولها ناخبة، مع أن هذا الحق لكل رجل مهما كانت درجته من الجهالة وتجرده من أى ميزة تميزه عن أقل امرأة في الهيئة الاجتماعية". وهكذا تستنتج هدى شعراوى أنه ربما كان عليهن الاهتمام بحقوقهن كنساء حتى يتمكن من الوجود فى المجال السياسى (٢٢).

ولأن التاريخ تكتبه الطبقة المهيمنة، فلا يبقي في الذاكرة الجماعية عن الحركة النسوية فى تلك الفترة سوى صورة **هدى شعراوى** المناضلة على خلفية يتعانق فيها الهلال مع الصليب. وأسقطت الصورة بالطبع خيبة الأمل التى شعرت بها المناضلات إزاء تخلى قادة الحركة الوطنية عن نضالهن، فالكل فى واحد، والواحد يسير باتجاه مصالح المهيمن (داخليا وخارجيا). ولكن لصلابة الحركة التى تأسست فى ظرف ثورى، فإنها لم تتراجع ولم تعد النساء إلى منازلهن، بل استوعبن الدرس واستمررن فى حركتهن رافعات المطالب النسائية ولم يتخلين عن البعد الوطنى لحركتهن. وكان لذلك أثر بالغ فى التأثير فى الثقافة السياسية للمجتمع التى استوعبت كثير من مطالب الحركة، وقبل كل شىء قبلت النساء كمناضلات سياسيات بل وثوريات. وهذا ما انعكس فى انخراط أعداد كبيرة من النساء فى صفوف الحركة السياسية والوطنية، كما انعكس على الحركة النسوية فى الفترة التالية لذلك.

وشهد **النصف الثانى من القرن العشرين** تبدلا فى القوى على مستوى العالم حيث تحول العالم **متعدد الأقطاب** إلى **ثنائية قطبية** فى بدايات الأربعينيات. وفى مصر شهدت فترة ما بين الحربين العالميتين وما تلاها سياسة واضحة، كانت مؤشرًا على تطور النظام الليبرالى فى مصر. وقد أثرت الحربان فى تطور البرجوازية المصرية، والذى انعكس بدوره فى نمو الصراع الاجتماعى الطبقى الذى تأثر أيضًا بأجواء الحرب العالمية، والويلات التى شهدتها شعوب المستعمرات نتيجة لها، وهو

الوضع الذى شهدته كثير من المستعمرات فى ذلك الوقت. وانعكست تلك التعددية فى تعددية مماثلة داخل الحركة النسوية، فبعد الاتحاد النسائى المصرى الذى احتكر التعبير عن النساء المصريات. أصبح هناك العديد من المنظمات السياسية ذات التوجهات الأيديولوجية المختلفة. وفى أجواء الحرب الباردة، أصبح الحديث الدائم فى مصر حول التحرر وتحرير المرأة عاكسًا للصراع الأيديولوجى الدائر على مستوى العالم [٢٣].

وأدى انخراط النساء فى المعترك السياسى، مع المد الوطنى الشعبى، إلى اختلاف فى مضمون مشاركة المرأة فى الحركة الوطنية. وعوضًا عن المظاهرات النسائية المستقلة، وتقديم العرائض للمندوب السامى والسفارات والحكومة المصرية، تغلغلت النساء إلى قلب الحركة جنبًا إلى جنب مع الرجال، بل إنهن شاركن فى قيادة المظاهرات، وكان الرجال والنساء يتبادلون الهتاف، وعرفت هذه الفترة **بظاهرة الفتاة** التى تقود المظاهرة جالسة على مقعد محمولاً على الأعناق. وفى حالة من الديمقراطية الشعبية الرائعة تم انتخاب ممثلى الطلاب فى اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلاب التى قادت الحركة الوطنية فى عام١٩٤٦. وانتخبت الطالبات في قيادة تلك اللجنة، وبرزت عديدات من القيادات النسائية الشابة، مما يعكس الحالة الثورية، وطبيعة مساهمة النساء فى الحركة، والقبول الاجتماعى لتغير دور النوع الاجتماعى الذى كان يشهده المجتمع فى تلك الفترة.

وفى النهاية فقد عكس الوضع العام للحركة النسوية، إبرازًا للأولوية الوطنية والسياسية على الأولويات النسوية، بل والاستخدام السياسى للمطالب النسوية، وإن كان الزخم الثورى والوطنى قد طور كلاً من المطالب السياسية والنسوية[٢٤].

وفى **فترة الخمسينيات والستينيات** لم تكن هناك حركة نسائية سوى بعض محاولات للاستمرار من خلال مؤسسات الدولة أو محاولات مجهضة نادرة للاستقلالية. وكان ذلك نتيجة منطقية لمصادرة الدولة كل منابر العمل السياسى الاجتماعى المستقل، ومنها المنظمات النسوية، واحتكار تمثيل المصريين. ومارست

الدولة ما يعرف **بنسوية الدولة** من أعلى، وهى تحقيق مطالب النساء المتوافقة مع المشروع الوطنى، وهى المطالب المتصلة بالمجال العام، وتجاهل المطالب المتصلة بالمجال الخاص، حيث ترك أمر شئون الأسرة والأحوال الشخصية تحت سيطرة رجال الدين الرسميين. وكان ذلك أيضًا متوافقًا مع المشروع الوطنى وأيديولوجيته، حيث تضمن هدف الاستقلال الحفاظ على الهوية الوطنية على حساب النساء، الذى كان معناه الحفاظ على موازين القوى– النوع– الاجتماعية التقليدية داخل الأسرة[٢٥].

وتصاعدت الحركة الطلابية ما بين عام ١٩٦٨ إلى ١٩٧٧، واشترك فيها عدد كبير من الطالبات كان لديهن طموحات كبرى فى تحرر الوطن وتقدمه وممارسة دور اجتماعى يختلف عن الدور التقليدى للمرأة، ومع تصفية الحركة وتشجيع الدولة للتيارات الإسلامية للعمل فى الحركة الطلابية، وبالقمع الشديد والقوانين القمعية التى اشتهرت بأنها سيئة السمعة بعد الانتفاضة الشعبية فى ١٩٧٧، ومع توقيع معاهدة كامب ديفيد مع الكيان الصهيونى فى عام ١٩٧٩، أصابت الشابات خيبة الأمل مثل زملائهن الشباب. ولكن إحباط الشابات كان أفدح حيث قيمن تجربتهن بالسلب فيما يتعلق بدورهن الاجتماعى. فقد لمسن تجاهل الحركة الطلابية وتعبيراتها السياسية والأشكال السياسية التى قامت مع التعددية الشكلية عام ١٩٧٦ للمسألة النسوية بالكامل. كما شعرن بالإحباط نتيجة لما لمسن من تحجر المفاهيم المرتبطة بالنوع الاجتماعى لدى زملائهن، والذى انعكس من جهة فى عدم وجود أى عناصر نسائية فى المستويات القيادية للأشكال السياسية، رغم المساهمة الكبيرة فى الحركة في الجامعة، ومن جهة ثانية انعكس فى التعاملات الشخصية التى تعبر عن عمق النظرة الدونية للنساء لدى الرجال السياسيين. وقد عبرت **أروى صالح** عن فداحة مرراتها العامة والشخصية في كتابها المتميز "**المبتسرون**" [٢٦].

وبدأت بوادر الحركة النسائية المعاصرة فى السبعينيات، مصاحبة للاهتمام الدولى بحياة نساء العالم الثالث المقترن بالعقد العالمى للمرأة ١٩٨٥/٧٥ الذى دعت إليه الأمم المتحدة. وبعد انهيار المعسكر الاشتراكى وسيطرة القطب الواحد المتمثل

فى المعسكر الرأسمالى الذى تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تأثيرات العولمة وتداعياتها على الحركة النسائية المصرية والعربية، حيث بدأت فى الاتجاه نحو تبنى قضايا لا تعبر عن خصوصية مجتمعاتها تتمحور حول قضايا فئوية محددة قد تمثل أولوية فى الأجندة الغربية، ولكنها ليست كذلك فى الأجندة العربية والمصرية. إذ ترددت الدعاوى حول حقوق الإنسان، والمجتمع المدنى، وحقوق المرأة، ومنع كل أشكال التمييز ضد المرأة وغيرها من الموضوعات التي توظفها الرأسمالية العالمية من أجل عولمة المفاهيم الغربية التى تخدم سياساتها ومصالحها، بغض النظرعن الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات العربية.

ولقد لجأت الرأسمالية العالمية إلى آلية إجرائية رأت أنها أكثر نفعًا لها من محاولات الاختراق الثقافى والغزو الفكرى للعالم العربى والعالم الثالث بشكل عام، هذه الآلية هى "**التمويل الأجنبى**". وهى آلية تضمن للقوى الرأسمالية العالمية بلوغ أهدافها وتحقيق مصالحها، وبصورة أسرع من الآليات الأخرى. وقد نجحت الرأسمالية العالمية فى اختراق الحركة النسائية المصرية – كما نجحت فى اختراق قطاعات أخرى داخل المجتمع المصرى– فبدأنا نشهد العديد من التنظيمات والجمعيات النسائية التى تعتمد على التمويل الأجنبى وخاصة منذ منتصف الثمانينيات. وقد تزايدت أعداد هذه الجمعيات حتى وصلت إلى ما يقرب من المائتين (٢٠٠) جمعية خلال عقد التسعينيات، وهى تعمل بالطبع وفق أجندة غربية بعيدة عن الاحتياجات الحقيقية والقضايا الجوهرية للمرأة المصرية[٢٧].

وتعد **منتصف السبعينيات** البداية الجديدة للحركة النسائية المصرية المعاصرة فى ظل العولمة والهيمنة الغربية الأمريكية، كما أنها بداية لمرحلة جديدة للحركة النسائية العربية التى انقسمت بعد أن كانت حركة نسائية موحدة منذ إنشاء **هدى شعراوى** "الاتحاد النسائى العربى"، وقد تم حل هذا الاتحاد بعد معاهدة السلام مع إسرائيل، وانعزلت مصر عن العالم العربى مما كانت له آثار سلبية على الحركة النسائية المصرية، بعد أن كانت الحركة الرائدة على مستوى العالم العربى. ومنيت

الحركة النسائية المصرية بعد ذلك بالكثير من النكسات على امتداد الخمس والعشرين سنة الماضية ومنذ بداية عقد الثمانينيات، وذلك بسبب بعض المتغيرات التى طرأت على المجتمع المصرى، وأدت إلى مزيد من ارتباط الحركة النسائية بالمجال العام العالمى وانفصالها عن المجال القومى [٢٨].

فتأثرت الحركة النسائية المصرية سلباً باستبداد الحكم والقيود المفروضة عليها، والتى تحول دون تطور حركة اجتماعية نسائية بالمعنى الحقيقى لمفهوم الحركة الاجتماعية، فحالت دون تطورها كحركة جماهيرية منفصلة عن السلطة وعن العملية السياسية الرسمية، وقادرة عن التعبير عن المشكلات والقضايا الجوهرية للمرأة المصرية البسيطة. وبدأت الحكومة المصرية عملية استقطاب للحركة النسائية وتحويلها إلى **حركة نخبوية** وذلك من خلال إنشاء **المجلس القومى للمرأة** فى بدايات الألفية الجديدة؛ إذ أنشىء المجلس بقرار جمهورى عام ٢٠٠٠ باعتباره هيئة مستقلة مسئولة عن تمكين المرأة المصرية؛ حيث أسهم إنشاؤه فى إضفاء الطابع النخبوى على الحركة النسائية المصرية ، فضلا عن أنه أبعد الحركة النسائية عن أن تكون حركة اجتماعية حقيقية لأنه تأسس بقرار رسمى فوقى "**جمهورى**" والتنظيمات الاجتماعية والحركات لا تنشأ بقرارات فوقية؛ وإنما تنشأ من القاعدة الجماهيرية التى تمثلها[٢٩].

واستمرت الحركة النسائية إلى مزيد من الانقسام والتفتت، وانعكس ذلك فى الآونة الأخيرة بسبب كثرة مؤسسات المجتمع المدنى العاملة فى مجال المرأة، والتى تعمل وفق الأجندات الدولية التى تعمد إلى هذا التفتت، كما أصاب المجتمع عدد من التغيرات المعاصرة مثل ثورة ٢٥ يناير التى حولت المجتمع برمته إلى نظام جديد للحكم يسعى إلى تحقيق مزيد من الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، ولكن دائماً ما تتأثر الحياة الاجتماعية بالتطورات السياسية، لذا لازالت النخبة النسوية فى صراع بسبب تلك التغيرات السياسية والمرحلة الانتقالية التى تسود المجتمع المصرى، فهى تعيش الآن حالة من القلق والخوف بسبب سيطرة التيارات الإسلامية على سُدة الحكم

ومقاليد السلطة فى المجتمع، وتحاول جاهدة الحفاظ على مكتسباتها فى التعليم، والعمل، ومكانتها فى المجتمع.

وخلاصة القول إن الحركة النسائية المصرية قد مرت بعدة مراحل، وتأثرت بالعديد من المتغيرات الداخلية والخارجية التى دفعتها لتغيير مسارها، فبعد أن كانت الحركة النسائية الكلاسيكية مرتبطة بالمجال العام القومى وتسعى للنهوض بالوطن واستقلاله عن المستعمر، والنهوض بالمرأة المصرية، إلا أن تلك الحركة تطورت وصارت حركة نسائية معاصرة وتبدلت ملامحها وأصبحت أكثر ارتباطا بالمجال العالمى، وأكثر ارتباطا بالسلطة الرسمية وتعبر عن قضايا نخبوية مرتبطة بالأجندة الغربية أكثر منها تعبيراً عن الاحتياجات الفعلية للقاعدة الجماهيرية للمرأة المصرية.

وبناء على ما سبق يمكننا القول إن تلك المتغيرات المجتمعية والعالمية قد أثرت فى تشكل النخبة النسوية وخاصة في العصر الحديث، إذ عمدت تلك المتغيرات العالمية على تكوين عدة نخب داخل المجتمع المصرى، ومن بينها النخبة النسوية المصرية التى أصبحت أكثر ارتباطاً بالمجال العام العالمى وتدور فى فلك النخب النسوية العالمية؛ وذلك تحقيقا لهدف عدد من المؤتمرات العالمية الأخيرة، فقد دعا مؤتمر "**دافوس المرأة ٢٠٠٦**" النساء العربيات إلى الاستفادة من الفرص الكبيرة التى تقدمها العولمة، وذلك من خلال التقدم الاقتصادى، وإقامة مشروعات تمتلكها النساء، ومن ثم يصبحن نواة لسيدات أعمال مصريات وعربيات.

ثانيا: **آليات تشكل النخبة النسوية "نخبة سيدات الأعمال"**

سوف نسلط الضوء هنا على مجموعة من الآليات التى أسهمت فى تشكيل النخبة النسوية فى العصر الحديث، مركزين على أهم هذه الآليات، وأكثرها تأثيرًا فى تشكل نخبة سيدات الأعمال كجزء من النخبة النسوية، وتتمثل تلك الآليات فى: **(التعليم، المشاركة فى الحياة العامة، العمل الحر، المهارات الشخصية)**، وقد نزعم أن هذه الآليات مكنت المرأة من الخروج من شرنقة أو عزلة المجال الخاص "المنزل" إلى

المجال العام "المجتمع"، إذ يعد الخروج إلى المجال العام والمشاركة فيه النواة الأولى لتشكل أى نخبة، فالنخبة النسوية عندما خرجت إلى المجال العام امتلكت بعض قرارات الشأن العام وحاولت صنع السياسات، ومن ثم امتلكت قدرًا من القوة تمكنها من الحفاظ على تشكل نخبتها. وسوف نعرض لتلك الآليات على النحو التالى:

١- التعليـم

يمثل التعليم النواة الأساسية لتنمية وعى المرأة بحقوقها ورفع مستوى تفكيرها وعلمها، لذلك اهتم معظم مفكرى عصر التنوير العربى بالتربية، والذى يعنى تعليم المرأة، فأحيانا كثيرة كانوا يتكلمون عن التربية بمعنى التعليم، ومن هنا احتلت قضية تعليم المرأة مكانتها الجوهرية.

وقد بدأ الاهتمام بتعليم المرأة فى مصر فى العصر الحديث على يد الخديو **محمد على** والخديو إسماعيل من بعده – كما ذكرنا آنفا– واهتم شيوخ عصر التنوير من أمثال **رفاعة الطهطاوى وقاسم أمين** بإبراز قيمة تعليم المرأة، ودعوا إلى تحرر المجتمع من عاداته وقيمه التى تحرم تعليم المرأة، لأن نفع التعليم للبنات أكثر من ضرره بل أنه لا ضرر فيه أصلا. فتعليمهن عبارة عن تنوير عقولهن بمصباح المعارف المرشد لهن، أو أن الإطلاع على المعارف المفيدة هى أجمل صفات الكمال(٣٠) . أما **قاسم أمين** ركز على ضرورة تعليم المرأة تعليمًا دينيًا ودنيويًا معًا، فكان يرى أن التعليم لا يتعارض مع عفة المرأة وأخلاقها، بل أنه رأى أن التعليم يرفع المرأة ويكمل عقلها(٣١).

وسار على درب رواد عصر التنوير الأوائل، فى الدعوة إلى تعليم المرأة تعليمًا رسميًا رائدات الحركة النسائية فى ذلك الوقت أمثال "**هدى شعراوى، ونبوية موسى، وملك حفنى ناصف...وغيرهن**"، اللاتى اهتممن بالفعل وليس بالقول فقط، إذ طالبت باحثة البادية "**ملك حفنى ناصف**" بالإكثار من مجانية التعليم، وجعل التعليم الأولى إجبارى على قدر الإمكان فى مدارس البنات بسبب ظروف الشعب المصرى

الاقتصادية، لذلك تقول "إن كثيراً من الفقيرات يحب أهلهن أن يعلموهن فلا يجدون لهن فى المجانية مكانًا، تكون النتيجة تركهن بلا تعليم، ولا تهذيب، فتشببن جاهلات، ويكن أعضاء مشلولة فى جسم الأمة المصرية، وإذا لم تقم نظارة المعارف بتعليم الفقيرات من الشعب، فواجب ديوان الأوقاف أن يخصص لهن من الأموال الخيرية ما يفى بالحاجة، ولا ننسى أن نذكر الجمعيات الخيرية، وأغنياء الأمة بتعليم الفقراء من أبنائها وبناتها ليساعدوا على ترقى الأمة"[٣٢]. ولم يعادل اهتمام أحد من أقطاب الحركة النسائية بقضية تعليم المرأة مثل الاهتمام الذى أولته **نبوية موسى** لقضية تعليم المرأة، فكانت أول فتاة مصرية تحصل على البكالوريا "الثانوية" عام ١٩٠٧، وكانت أول امرأة تعمل مُعلمة للغة العربية، وأول ناظرة مصرية، وهى من أوائل الرائدات التى اتخذت تعليم المرأة قضية وطنية[٣٣]. فتقول "إن من يتعلم القراءة والكتابة لا يعد متعلما؛ إلا إذا جعل ذلك سبيلا إلى نيل العلوم، ومن الأسف إننا نجهل هذه الحقيقة فى مصر، ولا ينبغى أن يقتصر تعليم الفتاة على قشور العلم، فينبغى على الفتاة أن تتعلم مبادئ أولية فى الجغرافيا، والرياضة، وبقية العلوم، وهى وإن كانت لا تفيدها فى عمل منزلها إلا إنها تفيدها فى تربيتها العقلية التى تفيدها فيما بعد فى أعمال المنزل، وإن لم تتعلق به مباشرة، فهى تسدد رأيها، وتقوى تصورها، وتجعلها على مستوى واحد مع زوجها قلبا وقالبا"[٣٤].

ونتيجة لكل الدعوات والاجتهادات التى قدمتها الرائدات النسائيات، استجابت الحكومة المصرية ونص دستور ١٩٢٣ على إعطاء أولوية للتعليم، وأصبح التعليم إجباريا لكل من الأولاد والبنات، وتم قبول أول خمس فتيات فى الجامعة عام ١٩٢٩، وبحلول عام ١٩٣٧ كان عدد الفتيات اللاتى يحملن شهادات جامعية ١٩٧٩ فتاة[٣٥]. ومثلت هذه الفئة المتعلمة القاعدة الأساسية لتشكيل النخبة، ولأن المجتمع لم يكن يشجع آنذاك تعليم الفتيات، فكانت المتعلمات منهن تمثل فئة متميزة عن بقية أقرانها فى المجتمع فى ذلك الوقت، ومن ثم شكل التعليم أول خطوة على طريق تميز المرأة، ومن ثم شجعها على التميز فى عملها والإبداع فيه. ويهمنا هنا التأكيد على

أننا لا نقتصر على التعليم الرسمى الحكومى فقط، وإنما كل أنواع التعليم وصوره المتاحة آنذاك سواء تعليم الصالونات، تعليم المدارس الأجنبية، التعليم خارج مصر...إلخ. فكل هذه الأنواع شكلت اللبنة الأولى للنخبة النسوية ومنها نخبة سيدات الأعمال.

٢- المشاركة فى الحياة العامة

بدأت مشاركة النساء فى الحياة العامة من خلال ظروف استثنائية خارجية مرت بالمجتمع المصرى بمجرد انقضائها تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه. ونظرا لظروف الاستعمار هبت النساء لمساندة الرجال فى مواجهة الاحتلال وتحقيق الاستقلال.

فخرجت المرأة فى مواجهة الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨، كما خرجت فى معركة رشيد ضد الاحتلال الإنجليزى عام ١٨٠٧ "حملة فريزر"، كما عادت لتشارك فى مقاومة الاحتلال الإنجليزى عند عودته مرة أخرى عام ١٨٨٢، ثم شاركت فى ثورة ١٩١٩، وتؤكد الدراسات أن **تاريخ مشاركة المرأة المصرية كان بدوافع وطنية وسياسية بالدرجة الأولى**، حيث اقترن خروجها من المجال الخاص إلى المجال العام بمسار الحركة الوطنية والدعوة إلى التعليم والعمل [٣٦].

وعلى الرغم من تأكيد الكثير من الدراسات على أن المجتمع عمد على تعبئة النساء فى حالة الاحتياج إليهن سواء فى ظروف الحرب أو كجيش احتياطى فى سوق العمل، وإعادتهن إلى أدوارهن المنزلية والثانوية فى المجال الخاص بمجرد انتهاء حالات الطوارئ الوطنية، فيوضح هذا أن المجتمع لا ينظر للنساء سوى مجرد **احتياطى استراتيجى** للثورات وللظروف الاستثنائية فقط وأنها ليست قوة فعلية معترفًا بها داخل المجتمع، إلا أنه لا ينفى كل هذا الاستفادة التى حققتها النساء من خلال خروجهن إلى المجال العام فقد اكتسبت السبل المختلفة لمناهضة قوى الاستعمار الخارجى، ومن ثم تستطيع مقاومة قهر واستبداد السلطة الذكورية المهيمنة فى المجتمع. وبعد هذا الخروج أصبح من الصعوبة بما كان العودة مرة أخرى إلى شرنقة

وعزلة المجال الخاص. ومن ثم أسهمت الحركة الوطنية وخروج المرأة إلى عالم السياسة، والمشاركة فى الحياة العامة فى إفراز نخبة من النساء المناضلات تمكن من اكتشاف قدراتهن ومواهبهن مع أول احتكاك بالعالم الخارجى.

ومنذ ذلك الحين تنوعت مشاركة النساء فى الحياة العامة، فمنهن من ركزن على إبراز صوتهن النضالى ضد الاستعمار من خلال **الكتابة**، فالنساء اقتحمن عالم الكتابة على اعتبار أن كتابة النساء تمثل أهم أشكال المقاومة ضد القوى التى تحاول قهرها سواء كانت قوى مجتمعية داخلية أو قوى خارجية، فنجد كثيرًا من الرائدات النسائيات دخلن عالم الكتابة واشتغلن فى **الصحافة** لأنهن اعتبرن أن سلطة الكلمة هى من أقوى السلطات وأكثرها تأثيرا فى المجتمع خلال تلك الفترة، وساعدهن على ذلك ازدهار الصحافة فى تلك الفترة.

وكانت كتابات النساء تصب فى ثلاثة روافد أساسية: **أولها** المحاضرات، والمقالات، والرسائل التى كانت تعرض بشكل مباشر لقضايا تتعلق بوضع المرأة وتحررها؛ و**ثانيها** الكتابة الإبداعية النسائية لا سيما القصصية والروائية، ولم تكن هذه الكتابة الإبداعية النسائية تستهدف التسلية أو الإثارة، وإنما كانت تخدم الخطاب النسائى التحررى بالأساس. أما **الرافد الثالث** الذى يعد أكثر دعمًا لخطاب التحرر فهو ما يسمى بكتابة المرأة على كتابة المرأة أو كتابة النساء على كتابة النساء [٣٧].

وأسفرت هذه الكتابات عن ظهور نخبة من النساء على الساحة الثقافية تعبر عن نفسها وعن قضاياها ومشكلاتها، وتحاول أن تشارك فى الحياة العامة، وساعد على ذلك ازدهار الصحافة النسائية الجادة والهادفة، وبدأ ظهور الصحافة النسائية على يد الكاتبة **هند نوفل** التى أنشأت في شهر نوفمبر ١٨٩٢ أول صحيفة نسائية شهرية بعنوان "**الفتاة**" [٣٨] ، ثم تلاها ظهور صحف نسائية أخرى منها "**الفردوس ومرآة الحسناء** عام ١٨٩٦، **وأنيس الجليس** عام ١٨٩٨، **وفتاة الشرق** عام ١٩٠٦، **والجنس اللطيف** عام ١٩٠٨"... وغيرها من الصحف والمجلات[٣٩].

ولم يقتصر الأمر على مشاركة النساء فى مجال الكتابة والصحافة فقط؛ بل امتد إلى إنشاء العديد من **التنظيمات الخيرية والجمعيات الأهلية والاتحادات النسائية** للمساعدة فى تحرير عقول ووعى النساء فى المجتمع، والمشاركة فى **المؤتمرات الدولية والعربية** لخدمة قضايا المرأة وتحريرها، ومشاركتها على المستوى الداخلى والخارجى. فبادرت الرائدة الأولى **هدى شعراوى** بإنشاء عدد من الجمعيات الخيرية بلغ عددها ١٥ جمعية، كما شاركت فى جمع رأس مال **بنك مصر**؛ إذ تبرعت من رأسمالها بمبلغ كبير لإنشاء البنك، وكانت صاحبة فكرة إنشائه وساندت **طلعت حرب** فى إنشائه عام ١٩٣٠. وأكملت **سيزا نبراوى** مسيرة رفيقتها فى النضال"هدى شعراوى" بعد وفاتها، إذ شاركت هدى شعراوى فى تأسيس الاتحاد النسائى المصرى والاتحاد النسائى العربى ١٩٤٤، وترأست تحرير مجلة المرأة المصرية الصادرة عن الاتحاد النسائى باللغة الفرنسية، ثم أصدرت مجلة **الإجبيسيان** "**المصرية**" (٤٠).

وأدركت النساء فيما بعد الحاجة الملحة إلى التنظيم، على وعى منهن بأن تنظيم صفوف النساء فى اتحادات أو جمعيات أو تنظيمات نسائية سيشكل مصدراً مهماً ورئيسا للقوة والنفوذ والتأثير، لذا بدأ نشاط النخبة **بالعمل الخيرى** فأنشئت المؤسسات والجمعيات الخيرية منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتميزت تلك الجمعيات الخيرية بالعمل على أساس التمايز الدينى، فمثلا هناك جمعيات خيرية للسيدات المارونيات، وجمعيات خيرية للسيدات القبطيات، وجمعيات خاصة بالنساء اليهوديات، وتنوعت الجمعيات الخيرية الإسلامية ما بين جمعيات خاصة بالأطفال مثل "**جمعية الشفقة بالأطفال**" وهى من أوائل الجمعيات التى قامت بإنشائها النساء المسلمات عام ١٩٠٨، ثم أنشأت الأميرة **عين الحياة** مبرة محمد على ١٩٠٩ عقب الوباء الذى انتشر آنذاك، ثم أنشأت **جمعية المرأة الجديدة** عام ١٩١٩... إلخ ، ثم توالت الجمعيات الخيرية النسائية التى دعمتها نساء الطبقة البرجوازية الراقية، وقد ساعدت تلك الجمعيات الخيرية النساء على السعى نحو مزيد من الانخراط فى المجتمع المصرى، إذ وسعت دائرة نشاطهن الاجتماعى وفتحت

الباب لمهن جديدة. وأكسب هذا العمل المرأة الكثير من المهارات التى أفادتها فى معارك النضال الوطنى والنسائى، فأصبح العمل التطوعى لهن بمثابة المنفذ الوحيد لطاقاتهن، وسبب مشروع من منظورهن للخروج للعمل خارج المنزل لمساعدة الفقراء والعمل على تقدم البلاد. كما رأت نساء النخبة فى مجال **الرعاية الاجتماعية** مجالا مهملاً وأرضًا خصبة يمكن أن تصبح مركز قوة، وتساعد على الدخول إلى معترك العمل السياسى(٤١).

ثم اتجهت النخبة بعد ذلك إلى إنشاء **الاتحادات النسائية الدولية**، والمصرية، وجماعات حقوق المرأة، لتمثل جماعات ضغط مباشر وصريح لانتزاع حقوق النساء والمشاركة فى الحياة السياسية والعامة. فأنشئت **جمعية ترقية المرأة** عام ١٩٠٨ للدعوة لحقوق المرأة فى إطار الإسلام، وأنشئ **حزب العفاف اللطيف** كأول حزب نسائى فى مصر تبنت الدعوة إليه جريدة العفاف عام ١٩١١، ثم **الاتحاد النسائى المصرى** عام ١٩٢٣، **واتحاد بنت النيل** عام ١٩٤٩(٤٢). هذا بالإضافة إلى **الصالونات الثقافية والأدبية** التى كانت تقيمها نخبة من النساء المثقفات فى منازلهن لمناقشة القضايا الاجتماعية، والأدبية، والسياسية المعاصرة فى ذلك الوقت. ومن أهم هذه الصالونات "**صالون الأميرة نازلى فاضل، وألكسندرا أفرينوه، ومى زيادة، وأوجين ليه بارون...إلخ**"(٤٣). وكل هذا مهد إلى تحقيق مكاسب خاصة بالنساء وزادت من مساحة مشاركتهن فى المجال العام والحياة العامة.

٣- العمـــل

اعتبرت نساء النخبة العمل الاجتماعى سواء كان فى المؤسسات الخيرية أو الاتحادات النسائية بمثابة عمل استطعن من خلاله أن يبررن لأنفسهن الخروج من منازلهن لمساعدة الفقراء واكتساب مهارات التواصل الاجتماعى، ومن ثم استطعن المشاركة فى الحياة العامة – كما أوضحنا آنفا.

وشكل العمل الخارجى بالنسبة للرائدات النسائيات حقًا من الحقوق التى طالبن بها بصرف النظر عن الدوافع الاقتصادية إليه، فلم يكن ينظرن إليه بدافع اقتصادى؛ وإنما بدافع كونه حقًا لهن مثل الرجال ولكون العمل قيمة فى ذاته، ولذلك تبنت بعض الرائدات الدعوة لعمل المرأة وتصحيح النظرة السلبية السائدة فى المجتمع تجاه المرأة العاملة، إذ كثفت **نبوية موسى، وملك حفنى ناصف، ودرية شفيق** كتاباتهن الصحفية للحث حول هذا الموضوع إلى أن أتت ثمارها بعد الثورة ١٩٥٢.

وشجعت سياسات الدولة على عمل المرأة فى فترتى الستينيات والسبعينيات وقدمت لها التسهيلات المختلفة لمساعدتها على التوفيق بين العمل الخارجى والعمل المنزلى، إذ وفرت سبل المواصلات، ودور الحضانة فى مكان العمل، وإجازات لرعاية الأطفال... إلخ، وتقلدت المرأة عددًا من المناصب القيادية والوزارية نتيجة للسياسات التعليمية والتشغيل الموجهة للمرأة، وبرزت نماذج كثيرة ناجحة من النساء اللاتى تقلدن مناصب رفيعة وعملن فى معظم الأعمال التى كانت حكراً على الرجال مثل القضاء. واخترقت نخبة النساء عددًا من الأعمال المهمة إذ اخترقت عالم الكتابة عام ١٨٧٤، واخترقت عالم الصحافة عام ١٨٩٢، كما اخترقت **راوية عطية** البرلمان المصرى وأصبحت أول عضوة فيه عام ١٩٥٧، وتقلدت **حكمت أبو زيد** وزيرة الشئون الاجتماعية عام ١٩٦٢، ومنحت **سهير القلماوى** درجة الدكتوراه عام ١٩٤١[٤٤] ، وتوالت اختراقات النخبة النسائية لكل المجالات ومن بينها العمل الحر.

وفى **فترتى السبعينيات والثمانينيات** أصبح عمل المرأة خارج المنزل ضرورة مجتمعية للمساعدة فى دخل الأسرة، كما أصبح حقًا للمرأة ليست بحاجة للمطالبة به؛ إذ اعترف المجتمع بالمساهمة الاقتصادية التى تعود عليه من عمل المرأة، وبرزت المرأة فى عدد من المجالات كالصناعات الغذائية، والملابس، والتليفزيونات، واخترقت المرأة مجال القضاء، والسياسة وبرزن منهن الكثير فى تلك المجالات، كما أصبحت اليوم المرأة وزيرة وسفيرة وغيرها من المناصب التى تقلدتها، وفى الآونة الأخيرة اعتمدت المرأة على العمل الحر وبدأت فى العمل به، فأصبحت بعض النساء تمتلكن

مشروعات خاصة بهن سواء كن مقترضات تمويله من الصندوق الاجتماعى للتنمية أو من مدخراتهن الشخصية، ودخلت المرأة عالم رجال الأعمال واجتهدت فيه بل وبرزت فى بعض المجالات فيه، إذ اخترقت **لولا زقلمة** عالم الإدارة والإعلان منذ الستينيات، كما اخترقت **عزة فهمى** عالم المشغولات التراثية فى السبعينيات وبرزت فيه وأصبح لها صدى عالمى، وغيرهن الكثير من سيدات الأعمال اللاتى اخترقن مجال ريادة الأعمال وبرزن فيه كما سنوضحه آنفا.

٤- المهارات الشخصية للنساء

يتضح من السير الشخصية لرائدات الحركة النسوية فى العصر الحديث صور من التمايز والاختلافات بين المعاناة الشخصية والمهارات الفردية التى تتمتع بها كل منهن، فثمة اختلافات فردية بين كل امرأة عن مثيلاتها، فهناك من عانت من الظلم والإحساس بالقهر، وهناك من صبرت وصمدت تجاه هذا الظلم، بل حولته إلى نجاح، وتلك الصور قد نشاهدها فى تحليل بعض سير رائدات الحركة النسوية أمثال "**هدى شعراوى، ملك حفنى ناصف...**" وقد نشاهدها فى حياتنا المعاصرة، وكم من قصص نجاح لسيدات بدأت بالظلم والاضطهاد، وصمدت تجاهه إلى أن حولت هذا الإحساس بالظلم إلى نجاح وعطاء مستمر، وبلا شك يتوقف هذا على: **أولا** الفروق الفردية والمهارات الشخصية بين الأفراد، **وثانيا** تضافر عوامل أخرى شجعت على التحمل والصمود والمقاومة للوصول للنجاح.

ومن السير الذاتية لرائدات الحركة النسوية والتى حولت المعاناة والظلم إلى نجاح، فتقول **هدى شعراوى** فى مذكراتها "كنت أتصور أنى لست ابنة أمى، وأن أمى الحقيقية كانت إحدى الإماء، وقد ماتت، وأن الحقيقة بقيت مختفية عنى. وتزايدت آلامى باعتقادى الجازم فى صحة هذا التصور. وكنت أبقى الأمر مكتوما فى داخلى حتى يأتى الليل. وما إن أضع رأسى على الوسادة، حتى يأخذنى القلق والأفكار المرعبة وأنهمك فى البكاء... وكثيراً ما حلمت بأن وحوشا كبيرة الحجم تنقض على

وتنهش وجهى بأنيابها؛ وعندما ألجأ إلى حماية أمى أجدها قد أخذت أخى فى يديها وأعرضت عنى، فأصرخ أنا لست ابنتك أنا لست ابنتك، لقد كذبت على، قولى لى الحقيقة، أنا لست ابنتك أنا لست ابنتك"[٤٥].

وعانت هدى شعراوى كثيرا من معاملة أمها لها، إذ حطمت لها أمها كل حلم تحلم به فمثلا الزواج قررت الأم أن تزوجها من ابن عمها والوصى عليها **(على شعراوى)** الذى كان يكبرها بثلاثة عقود لتصبح الثروة الكبيرة فى الأراضى الشاسعة والعقارات التى ورثتها هدى شعراوى من أبيها الذى كان يملك أربعة آلاف فدان عندما وافته المنية فى أيدى العائلة. ولم تتوقف المأساة عند هذا الحد ولكنها تتعقد أكثر فأكثر؛ حيث إن على شعراوى كان متزوجا وأبا لثلاث بنات قبل زواجه من هدى شعراوى. ولكن هدى شعراوى صمدت وتحملت تلك الآلام وقاومت إلى أن نجحت فى تحقيق أهدافها، وبرزت كناشطة وطنية، وسياسية، ورائدة للحركة النسوية، وأعمالها من العلامات البارزة فى تاريخ مصر الحديث.

وتأتى معاناة **ملك حفنى ناصف** فى سيرتها الشخصية، إذ تجسدت معاناتها من الضرة، حيث تزوجت من رجل ثرى يكبرها فى السن ومتزوج من زوجة أخرى، وعانت ملك من ذلك الموقف المتناقض فى حياتها، فكانت تطالب بحقوق الزوجات وتهاجم استبداد الزوج، وهى تتحمل المعاملة السيئة من زوجها، وتتقبل الحياة معه على الرغم من خديعته لها، وإخفائه خبر زواجه من أخرى، وسفره دون علمها، وغيابه عنها لمدة عام كامل، كل هذا وهى صابرة وتتحمل المعاناة فى صمت ولا تجرؤ على المطالبة بالطلاق، حتى لا تصدم مشاعر والديها، وخشية أن يقال امرأة تعلمت لم تستطع أن تكون زوجة، وأن التعليم أبعدها عن المنزل كما كان شائعا[٤٦].

ولعل التنقيب فى السير الذاتية لهؤلاء النسوة سيكشف الكثير والكثير من المعاناة والمهارات الشخصية، ولا مجال للاستفاضة هنا، ونكتفى بهذين النموذجين لتوضيح فكرة أن المهارات الشخصية والمعاناة تساعد على تشكل الوعى، والوعى نقطة البداية على طريق مواجهة الآلام والمقاومة من أجل التغيير والنجاح، وبالفعل

هذا ما فعلته رائدات الحركة النسوية، وما فعلته بعض النساء البارزات والمتميزات فى العصر الحديث التى سنوضحها فيما بعد.

خاتمة

استعرضت هذه الورقة الكيفية التى من خلالها تشكلت النخبة النسائية فى العصر الحديث، وأهم الإرهاصات الأولية التى مهدت لتشكل النخبة النسائية ونخبة سيدات الأعمال كجزء من هذه النخبة، والآليات الفاعلة فى هذا التشكل، ثم تطرقنا لأهم الإنجازات التى ترتبت على هذا التشكل سواء للمجتمع بشكل عام أو لنخبة سيدات الأعمال بشكل خاص. والمتتبع لتاريخ تشكل النخبة النسائية يمكن أن يجد **عدة ملاحظات، منها:**

أولا: شكلت رائدات الحركة النسائية فى العصر الحديث بداية قوية لتشكل هذه النخبة، على الرغم من القيود الكثيرة التى فرضها السياق الاجتماعى والثقافى السائد فى المجتمع آنذاك، إلا أن الروح القوية الوطنية لرائدات النخبة النسوية عملت على كسر تلك القيود، ومن ثم أفرزت التغيرات والتطورات التى حدثت تدريجيا فى المجتمع المصرى فئة متميزة شكلت النواة الرئيسة لتشكل النخبة النسوية فيما بعد، ساعدها على ذلك سيطرة فكر رواد النهضة وحركة التنوير التى ناصرت تحرير المرأة، بالإضافة إلى انتشار التعليم للفتيات، وازدهار الصحافة النسائية وقوة الحركة النسوية التى فرضت المطالب والحقوق النسائية على أجندة السلطة.

ثانيا: استمر نضال النخبة النسوية للحصول على حقوق المرأة متخذات سياسة النفس الطويل، إلى أن وصلت المرأة لكل مراحل التعليم الجامعى وما بعد الجامعى، كما برزت فى مجال العمل الخارجى فى كثير من المجالات، واخترقت عالم الرجال فى تخصصات ومجالات كثيرة حتى وصلت إلى نيل أرقى الجوائز الدولية والمحلية.

ثالثا: اتسم تاريخ تشكل النخبة النسوية فى العصر الحديث بفترات ازدهار وقوة دعمها الرعيل الأول من الرائدات النسويات أمثال "**هدى شعراوى، ملك حفنى ناصف، درية شفيق..**"، وفترات اضمحلال وضعف خلال فترتى الستينيات والسبعينيات نتيجة لاكتساب المرأة كثير من الحقوق بعد ثورة ١٩٥٢، ثم بدأت فى الازدهار مرة أخرى فى الثمانينيات والتسعينيات من هذا القرن مع تعددها وتنوعها وإضفاء مزيد من التخصيص فى مجالاتها منها "**النخبة النسوية، نخبة سيدات الأعمال**" ...إلخ.

المراجع

١- جابر عصفور، دفاعا عن المرأة، أخبار اليوم، العدد٤٩٢، مارس٢٠٠٧، ص ص ٧- ٨.

٢ - أميمة أبو الخير، النخبة النسوية فى مصر: دراسة سوسيولوجية، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٩، ص ٨١.

٣- جابر عصفور، مرجع سابق، ص ص ٧- ٨.

٤- مؤمن الشافعى، الدولة والطبقة الوسطى فى مصر، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١، ص ٢٢٨.

٥- المرجع السابق، التقديم، ص ص ٧- ٨.

٦- سامية قدرى ونيس، المرأة المصرية- رؤية تحليلية، ورقة مقدمة فى: مؤتمر"مائة عام على تحرير المرأة"، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٣-٢٨ أكتوبر ١٩٩٩، الجزء الثانى، ص ص٤٧- ٤٨.

٧- أحمد محمد سالم، المرأة فى الفكر العربى الحديث، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١، ص ٣٦.

٨ - المرجع السابق، ص ٣٦.

٩ - مى زيادة، سوانح فتاة، بيروت، مؤسسة نوفل، ط٣، ١٩٨٩، ص ٦٧.

١٠- محمد أبو الإسعاد، نبوية موسى ودورها فى الحياة السياسية المصرية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص ٦٧.

١١- نظيرة زين الدين، السفور والحجاب، سوريا، دار المدى للثقافة والنشر، ط٢، ١٩٩٨، ص ٧٩.

١٢- نصر حامد أبو زيد، دوائر الخوف، قراءة فى خطاب المرأة، بيروت، المركز الثقافى العربى، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٣٧.

١٣- أحمد محمد سالم، مرجع سابق، ص ٤٣.

١٤- قاسم أمين، تحرير المرأة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ٩٦.

١٥- أحمد محمد سالم، مرجع سابق، ص ٤٤.

١٦- نبوية موسى، المرأة والعمل، الإسكندرية، ١٩٢٠، ص ١٥.

١٧- Farooq Hassan, The Islamic Tepublic, Aziz Publishers., 1984, p.4.

١٨- عزة خليل، الحركة النسوية فى مصر ما بين الهوية الوطنية والهوية النسوية، مجلة طيبة، العدد السابع، يونيه ٢٠٠٦، ص ص ٢٣٧- ٢٣٨.

١٩- إجلال خليفة، الحركة النسائية. قصة المرأة العربية على أرض مصر، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٣، ص ٢٢٣.

٢٠- عزة خليل، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

٢١- إبراهيم عبده؛ ودرية شفيق، تطور النهضة النسائية فى مصر من عهد محمد على إلى عهد فاروق، القاهرة، مكتبة الآداب الجماهيرية، ١٩٤٠، ص ١١٣.

٢٢- هدى شعراوى، مذكرات هدى شعراوى رائدة المرأة العربية الحديثة، ج ٣، سوريا، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣، طبعة خاصة، ص ص ٤٥- ٤٦.

٢٣- عزة سليمان، مرجع سابق، ص ص ٢٤٦- ٢٤٧.

٢٤- عزة خليل، مرجع سابق، ص ص ٢٤٨- ٢٤٩.

٢٥- ميرفت حاتم، الخطابات العلمانية والإسلامية حول الحداثة فى مصر ونشأة الدولة الوطنية ما بعد الاستعمار، فى: "أصوات بديلة والعرف والوطن فى العالم الثالث" ترجمة هالة كمال، القاهرة، المجلس الأعلى للصحافة، ٢٠٠٢، ص ص ٣٧٣، ٣٧٥- ٣٧٦.

٢٦- عزة سليمان، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

٢٧- نجلاء راتب، الحركة النسائية المصرية فى إطار تحولات المجال العام، ورقة فى مؤتمر، تحولات المجال العام فى مصر: تنامى الصراع ومستقبل التوافق الاجتماعى، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١١- ١٢ ديسمبر ٢٠٠٧، ص ٨.

٢٨- المرجع السابق، ص ١٠.

٢٩- المرجع السابق، ص ١٢.

٣٠- أحمد محمد سالم، مرجع سابق، ص ١٧٢.

٣١- المرجع السابق، ص ١٨٢.

٣٢- باحثة البادية، آثار باحثة البادية، جمع وتبويب مجد الدين حفنى ناصف، تقديم سهير القلماوى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٢، ص ١٢٥.

٣٣- المجلس القومى للمرأة، الرائدات النسائيات ، ٢٠٠٧.

٣٤- نبوية موسى، المرأة والعمل، الإسكندرية، ١٩٢٠، ص ٤٦، ص ٨٩.

٣٥- أميمة أبو الخير، مرجع سابق، ص ٨٧.

٣٦- انظر لكل من:

- مصطفى الفقى، آليات تنمية المرأة سياسيا، ورقة مقدمة فى: المؤتمر القومى الثانى للمرأة المصرية- سياسات التنمية للنهوض بالمجتمع (٢١- ٢٢ أبريل ١٩٩٦)، القاهرة، المجلس القومى للطفولة والأمومة، ١٩٩٦، ص ٨١.

- نجلاء راتب، مرجع سابق، ص ص ٤- ٧.

٣٧- ألفت كمال الروبى، مى زيادة وباحثة البادية، فى: من رائدات القرن العشرين شخصيات وقضايا، مرجع سابق، ص ٤٠.

٣٨- جابر عصفور، مرجع سابق، ص ٨.

٣٩- هدى الصدة وعماد أبو غازى، مسيرة المرأة المصرية علامات ومواقف، ج ١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠١، ص ص٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٦.

٤٠- المجلس القومى للمرأة، الرائدات النسائيات، مرجع سابق، ص ٢٥.

٤١- انظر إلى:

- نجلاء راتب، الحركة النسائية فى إطار تحولات المجال العام، مرجع سابق، ص ص ٥- ١٥.

- بث بارون، النهضة النسائية فى مصر- الثقافة والمجتمع والصحافة، ترجمة لميس النقاش،القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩، الفصل الثامن "ظهور الجمعيات".

٤٢- المرجع السابق، ص ص ١٦٨- ١٧٢.

٤٣- أميمة أبو الخير، مرجع سابق، ص ٩٣.

٤٤- المرجع السابق، ص ٩٨.

٤٥- المرجع السابق، ص ٩٠.

٤٦- إقبال بركة، باحثة البادية ملك حفنى ناصف، فى: مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩، ص ١٨٤.

Abstract

BUSINESS WOMEN ELITE IN EGYPT DETERMINANTS AND MECHANISMS OF FORMATION

Hind Fouad

The paper tries to highlight the determinants of forming the women elite in the recent epoch, and the factors that facilitated the formation of business women elite. moreover, The paper displays the effective mechanisms of forming this elite and the most important achievements resulted from this formation on the society in general.